

الأستاذ الجامعي و التكوين البيداغوجي

-الواقع والأفاق-

د/ زايدي عزالدين

جامعة سيدي بلعباس- الجزائر

azzeddinezaidi@yahoo.fr

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2018/11/15	2018/07/26	2018/07/09

الملخص:

لا يختلف اثنان على أن التكوين البيداغوجي للأستاذ الجامعي لم يرقى بعد إلى المستوى المطلوب. و ذلك راجع لجملة من الأسباب القاعدية مرتبطة أساسا بالهياكل (التنظيمية) Structurels أو (العضوية) Organique التي تسير الجامعة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

غير أن بؤادر الانفراج و التغيير بدأت تلوح في الأفق بعدما تيقن مسؤولو الجامعة الجزائرية بضرورة استحداث آليات تعليمية جديدة بات يطلق عليها "برامج المتابعة البيداغوجية للأساتذة الجدد" Programmes d'accompagnement pédagogique des enseignants nouvellement recrutés . التي تهدف إلى إعطاء الأستاذ الجامعي دورات تكوينية قد تساعده على أداء وظيفته التعليمية على أحسن وجه.

و سوف نحاول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على أربع محاور أساسية هي: 1- ماهية التكوين البيداغوجي الجامعي المتاح. 2- صفة الأستاذ الجامعي المقصودة 3- واقع هذا التكوين البيداغوجي. 4- و أخيرا الأفق المتاحة لتحسين أداء الأستاذ في الجامعة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية:الأستاذ;التكوين البيداغوجي ; الجامعة الجزائرية ; برامج المتابعة ; الوظيفة التعليمية.

Abstract:

Why talking about university and the role of the teacher now? Is it by necessity **to point out the status of the places?** Or open a real debate, which would give rise to intense intellectual activity that will put all the influential protagonists in the grip, for a real awareness of the serious danger that lurks our student youth.

Through this approach, we wanted to make the working teachers of social policies, more and more disparate, a bit of common sense in order to accomplish at best, their scientific and educational mission.

And it is in such a context of crisis, that our action intervenes. It aims to demonstrate the passivity in which the teacher has become embedded, on one side, and on the other, to relaunch him in his quest for true knowledge, for a return to the living source of his profession.

This is the true work of the university teacher, who finds himself caught between the fires of deontology, ethics and the practice of his profession..

Key words:

The university teacher; pedagogical training; university; quality; skills...

مقدمة:

إن الربط بين الأحداث التاريخية ضروري لفهم آليات التكوين البيداغوجي داخل جميع المؤسسات التعليمية الجزائرية عبر كل المراحل التي مر بها منذ سنة 1883، التي جسدت تاريخ "المدرسة الاستعمارية في الجزائر" و معه للتاريخ الاستعماري ككل. مما أدى إلى ترسيخ "نظام تعليمي قانوني" موجه للسكان الجزائريين.⁽¹⁾ وجاءت نصوص سنة 1883 حاملة معها مشروع النظام التعليمي في الجزائر إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية.⁽²⁾

و قد تمكنت الجامعة الجزائرية من تجاوز النظام التعليمي الموروث عن الحقبة الاستعمارية بفضل سياسة الإصلاح التي مست التعليم العالي سنة 1971 و التي شملت أجزاء واسعة من الوطن الأمر الذي أدى إلى تخرج دفعات هامة من المتحصّلين على الشهادات ساهموا في تغطية العجز الكبير و الفراغ الذي لوحظ على قطاعات عديدة أبرزها قطاع التعليم العام، و لو من حيث الكم،بالإضافة إلى القطاع الإداري و المؤسسات الاجتماعية. و يمثل التعليم الجامعي المعاصر اليوم، رسالة جد هامة في المجتمعات المتطلعة إلى التقدم و التطور و النمو و الازدهار. و هذا لا يتم إلا بالتحكم في العلم و التكنولوجيا و طرق اكتسابها و كيفية توصيلها إلى طلاب جامعاتنا.⁽³⁾ علما أنه علينا أن نضع في الحسبان ، شئنا أم أبينا، أننا ورثنا نظاما تعليميا منقول عن النظام التعليمي الفرنسي.⁽⁴⁾

أولا: ماهية التكوين البيداغوجي الجامعي

إذا أردنا أن نعطي وصفا دقيقا و علميا لمفاهيم مختلفة و لكنها مترابطة،"كالتكوين" و "البيداغوجيا" و "التعليم" فعلى أن نضعها في إطارها "الصّواب" Juste و نأمل أن تسير الأحداث ما هو مرجو من العملية التكوينية و البيداغوجية برمتها.

1- "التكوين" في المفهوم اللغوي و المفهوم الاصطلاحي⁽⁵⁾

تعني الكلمة في اللغة أن يكون الإنسان لنفسه أو لغيره شيئا ما، أو يكون مكونا في إطار معيّن، ليصل إلى تكويننا سليما لمجموعة من البرامج أو لمجموعة من الأشخاص، لأداء وظيفة معينة أو عمل ما. كما نقول مثلا: تكوين العالم كان بإرادة الخالق: خلقه، أي إخراجهم من العدم إلى الوجود.

أما من حيث الاصطلاح فهي جمع "تكوينات" و معنى الكلمة: تركيب وإنشاء و تدريب و تربية و تعليم. و مصدر الكلمة: كوّن- يكون- تكويننا.

فهو "مكوّن" و الفاعل "مكوّن"، مثال: كوّن فكرة عن الموضوع أي شكلها. أو نقول: كوّن أجيالا من الطلبة، أي درّبهم على اكتساب المعرفة الثقافية. أي علّمهم و ثقّفهم.

2- مفهوم "البيداغوجيا" في المناهج التعليمية و التكوينية:

إن التعليم الجامعي في الجزائر بحكم رسالته و الأعداد الغفيرة من الطلبة المقبلة عليه نتيجة لديمقراطية التعليم في الجزائر،⁽⁶⁾ يعدّ العمود الفقري الذي تقوم عليه التنمية الشاملة - السياسية و العلمية - الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و حتى البشرية - المدعمة لتوجه عصري قد يفتح أفقا متنوعة أمام الأعداد الهائلة من الطلبة المتخرجين الجامعيين. كما أن دور الجامعة يقوم على أسس تقديم تعليم عال و تكوين بيداغوجي متخصص من هيئة تدريس ذات كفاءة معتبرة حتى تمكّن الطلبة من اكتساب خصوصيات العلم و المعرفة و الثقافة.⁽⁷⁾

أما من حيث المفاهيم، فإن كلمة "التكوين" تعني مجموع النشاطات التدريسية التي تنظم للأساتذة الموجودين فعلا في المهنة -دائمين- Enseignants Permanents و ذلك من أجل تنمية كفاءاتهم و تحسين خدماتهم الحالية و المستقبلية، عن طريق استكمال تأهيلهم لمواجهة ما يستحدث من مشكلات تربوية. و التكوين عبارة عن برنامج منظم و مخطط يمكّن الأساتذة من "التطور" Développement داخل إطار 'المهنة التعليمية' Le Métier d'enseignant و ذلك بحصولهم على مزيد من الخبرات تمكّنهم من تحسين "العملية البيداغوجية".⁽⁸⁾ كما أن التكوين مصمّم أيضا، لزيادة الكفاءة والمهارة عند الأساتذة عن طريق علاج أوجه القصور (عجز أو نقص)، أو تزويد أصحاب "مهنة التعليم" بكل جديد من المعلومات و المهارات والاتجاهات عن طريق تدعيم الكفاءات و صقل الخبرات.⁽⁹⁾

يتناول التكوين "أثناء الخدمة"، أهم عنصر في العملية "التربوية - البيداغوجية"، ألا وهو "المربي أو المعلم أو الأستاذ"، الذي يعتبر "العامل الرئيسي" "Facteur Principal ou Élément Essentiel" والذي يتوقف عليه إنجاح عملية التكوين البيداغوجي في بلوغ غايتها وتحقيق أهدافها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى السياسية. لذلك نحتاج إلى "معلم"/ أو أستاذ يواكب التطورات ويستفيد من كل جديد، سواء كان ذلك عن طريق "النمو الذاتي للأستاذ" أي أن يكون مطلعاً على الجديد في حقل عمله وأن يكون قادراً على المطالعة والبحث والإنجاز واتخاذ المبادرة العلمية القيمة لتوجيه وإفادة طلبته.. أو عن طريق العملية التكوينية التي يخضع إليها أثناء الخدمة. هذا، ويبقى التكوين البيداغوجي بين 'الفعل التعليمي' 'Action didactique' و 'نظريات التعلم' 'Théories d'apprentissage' ومساهمة 'الحقول المجاورة' 'Champs Environnemental'، والمقصود بها هنا كل مادة، من العلوم الاجتماعية أو غيرها، المدعمة لأي دراسة في العلوم الإنسانية.⁽¹⁰⁾

إنّ العمل البيداغوجي ليس هو تلقين المعلومات فقط، ولا تعليم مقررات، مصنوعة وجاهزة، وإنما هو عملية متكاملة ومتجانسة تهدف إلى تكوين مجتمع جامعي منسجم ومتوازن Cohérent et équilibré يميّزه التفاعل الحاصل بين كلّ أقطابه، "الأستاذ-الطالب" على وجه الخصوص، في عملية "الأخذ والعطاء"، لنصل إلى ترسيخ ثقافة وممارسة إيجابية ومتواصلة داخل الجامعة تستقرّ بنا في النهاية إلى تحقيق تنمية شاملة على المستويات الفكرية والجسدية والروحية.⁽¹¹⁾

كما يميّز تدريس مختلف مواد العلوم الإنسانية والاجتماعية، بتنوّع "المناهج" والطرائق وتحديث النظريات، ويتوقّف نجاح كلّ هذه الطرائق على المدرّس

(المكوّن - الأستاذ) باعتباره المسؤول عن مدى تحقيق الأهداف المسطرة لإنجاح ذلك.

ثانيا: واقع التكوين البيداغوجي بين النصوص التنظيمية والحقيقة الميدانية

باتت عملية التكوين البيداغوجي من أهم الأولويات المسطرة في "أجندة" الوزارة الوصية باعتبارها الدواء الشافي الذي يعالج جوانب عديدة من العضلات التعليمية التي تعاني منها الجامعة الجزائرية. و شرعت، في هذا الصدد، عدّة معاهد و كليات في تسطير ملتقيات وطنية و أيام دراسية الهدف من وراءها تقييم البرامج و المناهج و وضع حصيلة بسياسة التكوين والمكوّنين.

نظمت وزارة الجامعات في شهر ديسمبر من سنة 1990 أياما دراسية لها صلة بالجانب البيداغوجي في الجامعة الجزائرية للوقوف على مدى تقدّم العملية التعليمية و التكوينية داخل الجامعة.⁽¹²⁾ و بالرغم من أنها نظمت في عجلة كبيرة، إلّا أن المبادرة كانت تستحق كلّ الثناء لأنها جاءت في مرحلة حسّاسة أظهرت أهمية "عملية التقويم البيداغوجي" من أجل الوقوف على مواطن العجز من أجل التغيير و التطوير.

كما احتضنت مدينة 'زرالدة'، مع مطلع سنة 1992، الملتقى الوطني حول "البيداغوجيا في الجامعة"، و كأن الوزارة الوصية عازمة على حمل الثور من قرونها من أجل إعطاء دفع و دعم قوين للعملية التكوينية و البيداغوجية داخل الجامعة. و كتب في هذا الصدد الدكتور "عبد الله بوخلخال"⁽¹³⁾ مقالا مطوّلا جاء هيه: "إن الجامعة الجزائرية تواجه أزمة حادة فعلا، في أداء وظيفتها البيداغوجية على أحسن وجه، نظرا للمسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقها و التي تفوق طاقاتها المادية و البشرية... فهي تواجه تزايدا في عدد الطلبة من سنة إلى أخرى و تواجه ضعفا كبيرا في هياكل الاستقبال و الوسائل البيداغوجية

وتواجه نقصا كبيرا في هيئة التدريس ذات الخبرة العالية و تواجه ضعفا شديدا في أساليب التسيير و التنظيم من أجل الاستغلال الأمثل لما هو موجود فعلا على أرض الواقع. كما تواجه انفجارا ضخما في ميادين العلم و المعرفة عند غيرنا من شعوب العالم سواء كانت متطورة أو سائرة في طريق النمو، وأخيرا، تواجه تراثا متراكما في حاجة إلى صيانة شاملة و واسعة من أجل الاستفادة منه... " (14)

تحتم لنا هذه الكلمات التي ألقاها الدكتور "بوخلخال" وقفة تأملية، مع كل ما تعيشه الجامعة اليوم من تحولات عميقة، لنطرح على أنفسنا هذا السؤال : "ما هي الأشياء التي تغيرت بعد مضي 26 سنة عن انعقاد هذا الملتقى الوطني...؟" ولعل الجواب يجربنا إلى حقيقة مفادها أن واقع سنة 1992 هو نفسه واقع المرحلة الحالية، و التي تمرّ فيها الجامعة الجزائرية بـ "مطبّات" و هزّات ارتدادية جعلتها لا ترقى إلى المستوى المطلوب و المسطرّ من قبل السلطات السياسية في البلاد. خاصة أن النظرة اليوم نحو الجامعة قد تغيرت عند العديد من الحكومات و الدول التي أصبحت تهتم أكثر فأكثر بالتعليم الجامعي وتعتبره نوع من الاستثمار في "تنمية الموارد البشرية" Développement des Ressources Humaines التي أصبحت حلقة هامة في المسألة الاقتصادية وعلما قائما بذاته. (15)

و لا يختلف اثنان على أن التكوين البيداغوجي للأستاذ الجامعي لم يرقى بعد إلى المستوى المطلوب. و ذلك راجع لجملة من الأسباب القاعدية مرتبطة أساسا بالهياكل (التنظيمية) Structures أو القوانين (العضوية) Lois Organiques التي تسيّر الجامعة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. و قد تجتمع حول نقاط سلبية منها: ضعف التأطير والتكوين و المكوّنين والاستنجد "بالأساتذة الأجانب" مما أثر سلبا على علاقتهم بالمحيط. إلى جانب ضعف

الدّعم المادّي للنظام التعليمي و افتقار المنتج المحلي لصفة "التنافسية"، يضاف إلى كلّ هذا الفائض الكبير الملاحظ على مستوى المؤسسات التعليمية.⁽¹⁶⁾

هنا، يبدو ضروريا طرح سؤال جوهري فيما يتعلق بمسألة التكوين البيداغوجي الجامعي و هو: هل الوزارة الوصية تبنت نموذجا أو اتجاهها بيداغوجيا تعززه "مخابر البحث العلمي" للجامعة الجزائرية أم لا؟ والجواب يكون "بنعم"، إذا نظرنا إلى الأعداد الهائلة من "مخابر البحث العلمي" Laboratoires de Recherche التي أقامتها الوزارة الوصية بين جدران كل الجامعات الجزائرية. و يكون الجواب "ب لا"، إذا ألقينا إطلالة سريعة على "النتائج العلمية" التي حققتها تلك المخابر إلى يومنا هذا..⁽¹⁷⁾

و نسترسل في الأسئلة و نقول أيضا: لماذا لم يتمكن الأستاذ الجامعي من بناء "خطاب بيداغوجي" يتماشى و الحقل الأكاديمي؟ (مؤشرات الفشل؟؟؟) هل يرجع ذلك إلى البناء المعرفي؟ (عدم القدرة على المطالعة و تثقيف نفسه بنفسه؟؟؟) أم إلى بناء اللغة؟ (خلل بنيوي في استعمال اللغة؟؟؟) أم إلى وجود عراقيل داخل المؤسسات الجامعية؟ (هل هي بيروقراطية إدارية أم قيود سياسية؟؟؟)

وبالعودة إلى واقع التكوين البيداغوجي في الجامعة الجزائرية، عموما، والعلوم الإنسانية، بشكل خاص، فيمكننا القول أنه قد تغير كثيرا عن ما كان عليه مع المرحلة الموروثة عن الحقبة الاستعمارية خاصة بفضل الإصلاحات التي تبنتها الدولة الجزائرية مع بداية الاستقلال و التي جسّدها إصلاح سنة 1971 حيث أصبحت مناطق عديدة من البلاد معنية بالعملية الإصلاحية التي أفرزت عن منظومة جامعية جديدة ساهمت بشكل كبير في حصول الطلبة الجزائريين على شهادات جامعية غطت على إثرها الدولة نسبة كبيرة من احتياجاتها الوطنية

في مجالات التعليم العام، خاصة من حيث الكم في البداية، و إلى المؤسسات الاجتماعية والإدارية على وجه التحديد.⁽¹⁸⁾

هناك معضلة أخرى تضاف إلى جهود التكوين البيداغوجي في العلوم الإنسانية والاجتماعية و تكمن بصورة خاصة في الاعتماد المتواصل على الأطر التعليمية- النظرية على حساب الطرائق العلمية- التطبيقية، بالرغم من وجود الوسائط البيداغوجية المختلفة التي تتيحها "الحصص التطبيقية"، إذا استغلت أحسن استغلال، لتنويع وإحياء العملية التعليمية داخل الأقسام لإذابة الجفاء الحاصل في أقسام ومدرجات الجامعة.⁽¹⁹⁾

و أخطر من ذلك، أن التكوين البيداغوجي الذي كانت توفره الجامعة الجزائرية كان ناقصا جدًا، مبني على الاختصار و الاختزال في المضامين و الإلقاء. و نادرا ما يتعدى قاعات التدريس و بعض الاجتماعات و القليل من المخابر، مهملا بذلك بقية النشاطات المؤثرة في صقل شخصية الأستاذ و الطالب معا. ما انعكس على العديد من الأساتذة و الطلبة الذين لا يأتون إلى الجامعة إلا للإلقاء الدروس و تلقيها، و لا يشاركون في الحياة الجامعية إلا للتخلص من عبء الحصة Se défaire d'une corvée، و بالتالي لا يستفيدون من كل ما هو متاح في الجامعة من وسائل، على الأقل لتحرير رواتبهم، لأنهم سوف يسألون عن ذلك.⁽²⁰⁾

من السلبيات الأخرى التي تعيق التكوين البيداغوجي، هو انعدام العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة الواحدة نفسها، إلا في ظل وجود "أقطاب" أو "تكتلات" أستاذية أو طلابية. فلا وجود للقاءات علمية و فكرية بين الأساتذة، و إن وجدت فهي محصورة دائما في نفس الأسماء، و نفس الأسماء لا تؤدي مهامها البيداغوجية المتمثلة في حضور الاجتماعات البيداغوجية في صورة "اجتماعات الفرق البيداغوجية" و لجان "المداولات" إلا مضطرة

وكأنها غير معنية تماما بما يجري داخل الحرم الجامعي. وغياباتها متكررة في سجلات الإمضاء دون أن تتعرض لأدنى العقوبات المنصوص عليها قانونا، بل أكثر من ذلك، نجدها هي الأولى التي تستفيد من المزايا التي تمنحها الجامعة في صورة "التربصات خارج الوطن" Stage à l'étranger. على وجه التحديد. أما الطلبة، فهمهم الأول في الجامعة هو التسجيل الإداري أو إحضار مبررات لتسوية حالات الغياب في الحصص التطبيقية أو في الامتحانات، التي تبقّيهم في "السباق التمدّيسي" و لا تعرّضهم لمقصلة الإقصاء من المقياس. و منهم من لا يعرف حتى أسماء الأساتذة الذين يدرّسونهم، فما بالك بالذين لا يدرّسونهم؟؟⁽²¹⁾ و أصبحوا يكتفون بالمطبوعات المختصرة أو الدّروس المملأة عليهم و يحفظونها عن ظهر قلب و يعيدونها يوم الامتحان وقد لا يدركون أهميتها إلّا بعد أوقات متقدّمة من أعمارهم.

و لعلّ أبرزها طغيان "الكمّ" على "الكيف"، نتيجة لديمقراطية التعليم. الأمر الذي سمح لأعداد هائلة من الطلبة دخول الجامعة و كان ذلك على حساب ضعف التأطير و ضعف التكوين. إلى جانب ذلك، هناك قضية سوء التسيير، خصوصا الجانب الإداري فيها الذي طغى على الجانب العلمي ممّا انعكس سلبا على كلّ المنظومة الجامعية.⁽²²⁾

إذن، فالعملية برمتها تحتاج إلى تقييم موضوعي باعتبارها ارتبطت في هذه المرحلة بظروف و عوامل أثرت عليها و جعلتها تسلك دروب التكوين السريع و العشوائي، في بعض الأحيان، و الغير مؤسس بيداغوجيا و علميا والذي لا يستجيب لمتطلبات المستوى العلمي الجامعي المطلوب لأسباب مؤسسية و أخرى غير مؤسسية، قد تكون عائقا في طريق استغلال كافة الموارد المادية و القدرات البشرية التي تزخر بها البلاد.

إن الجهود التي بذلت في مجال التكوين البيداغوجي على مستوى التعليم العالي، من طرف الدولة الجزائرية منذ عهد وزارة التربية الوطنية ثم وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ثم وزارة التعليم العالي و وزارة الجامعات مروا بوزارة الجامعات و البحث العلمي وصولا إلى وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، من جديد،⁽²³⁾ لم تلقى الدعم اللازم من مختلف المؤسسات الجامعية و الهيئات التدريسية بالرغم من أنها كانت ملزمة بذلك من خلال مختلف النصوص القانونية التي أصدرتها الوزارة الوصية، خاصة في القانون الأساسي للأستاذ الباحث الصادر في 2008.⁽²⁴⁾ الأمر الذي جعل عملية التكوين البيداغوجي الجامعي لفائدة الأستاذ الجامعي تتعثر، حتى لا نقول تتوقف، و ينجر عنها الواقع الصعب الذي تمر به الجامعة الجزائرية اليوم و على مختلف الأصعدة والمستويات...⁽²⁵⁾

حاولت الوزارة الوصية دفع عجلة التكوين البيداغوجي إلى الأمام باستحداثها "مناصب عليا" للأساتذة الباحثين بغية تطوير المستوى و الرفع من المسؤوليات البيداغوجية لدى الأساتذة الجامعيين حتى يكون لهم نصيب في هذه العملية، فقررت تحديد المهام و تصنيف الأساتذة كل حسب درجته العلمية. فأقرت مناصب: مسؤول فريق ميدان التكوين ومسؤول فريق شعبة التكوين ومسؤول فريق الاختصاص.⁽²⁶⁾

فيما يخص الصنف الأول، فقد كلف بمهام تنشيط أعمال فريق التكوين واقتراح البرنامج البيداغوجي لمسارات التكوين و إعداد ممرات بين مختلف مسارات التكوين للسماح بالتوجيه التدريجي للطلبة نحو التخصصات المرغوب فيها، ثم وضع مناهج بيداغوجية متوافقة و كذا تنظيم و تقييم أشكال التكوين و التدريس و السهر على انسجام المسارات مع بعضها وإبداء الرأي فيما يخص جدوى مسار التكوين أو تعديله. بالإضافة إلى السهر على

الحفاظ على الانسجام العام للتربصات المنصوص عليها في عملية التكوين، وأيضا، مد يد العون لرئيس القسم في عملية التسيير البيداغوجي للتكوين العالي في التدرّج (ليسانس و ماستر).⁽²⁷⁾

أما الصنف الثاني، فيكلف فيه "مسؤول فريق شعبة التكوين" بتنشيط أعمال فريق تكوينه و يقوم باقتراح قائمة الاختصاصات التي تحتوي عليها الشعبة مع تقديم مقترح فتح أو غلق اختصاصات في الشعبة و متابعة عمليات الإشراف في الطور الأول- الليسانس- . كما عليه اقتراح إجراءات بيداغوجية من أجل ضمان السير الحسن للجدوع المشتركة للتكوين العالي للتدرج.⁽²⁸⁾ بينما الصنف الثالث، فقد كلف في نطاق مهامه بتنشيط أعمال الفريق المنوط به والسهر على إنجاز أهداف التكوين في الاختصاص الذي يكلف به و يقترح كل تدبير من شأنه تحسين برنامج التكوين في الاختصاص و يقوم بترقية و تنشيط آليات الإدماج المهني للمتخرجين الجدد. بالإضافة إلى ذلك، فهو يقوم باقتراح تدابير بيداغوجية لضمان التسيير الحسن لاختصاصات التكوين العالي للتدرج.⁽²⁹⁾

ثالثا: الأفاق المتاحة لتحسين التكوين البيداغوجي للأستاذ الجامعي

تعكس لنا الجامعات الحديثة اليوم، تاريخ التربية و تاريخ المجتمع و تاريخ الفكر. و تتحدّد النظريات التعليمية و تطبيق الشعوب لها على مرّ الزمن، بالعلاقات الاجتماعية و القيم السائدة و بالمعرفة المتوافرة و الاتجاهات نحو الاستفادة منها. و مهما طرأ من تغير في "فلسفة التعليم" و مهما اختلفت الآراء حول المهمة الرئيسية و الأساسية للجامعة، بشكل عام، فهناك إجماع Consensus على أن التعليم الجامعي من شأنه أن يزيد الفرد و الإنسان معرفة بنفسه و بالعالم المحيط به.⁽³⁰⁾

لقد تطرق الدكتور "هضاب مصطفى"⁽³¹⁾ إلى جملة من التدابير و الآليات المؤثرة في جودة التكوين و الاستراتيجيات المستقبلية في التعليم العالي الجامعي، و ذلك عبر العديد من المؤلفات التي وضعها في متناول الجامعة والدولة الجزائرية، بشكل خاص، و الحقل المعرفي العالمي بشكل عام، و التي تهتم بالجوانب الأكثر إدراكا لتطور التعليم الجامعي في الجزائر من حيث التزايد المذهل لعدد الطلبة و الارتفاع المتواصل لعدد المؤسسات الجامعية عبر كل مناطق البلاد.⁽³²⁾

كما بدأت بوادر الانفراج و التغيير تلوح في الأفق بعدما تيقن المسؤولين على الجامعة الجزائرية بضرورة استحداث آليات بيداغوجية جديدة بات يطلق عليها مصطلحات "التقييم" Evaluation و "التجديد" Renouvellement و"عروض التكوين" Offre de Formation و "المطابقة" Mise en Conformité و"المواءمة" Harmonisation و"برامج المتابعة البيداغوجية للأساتذة الجدد" Programmes d'accompagnement pédagogique des enseignants nouvellement recrutés. و التي تهدف إلى إعطاء الأستاذ الجامعي دورات تكوينية قد تساعده على أداء وظيفته التعليمية على أحسن وجه، و أخيرا "تأمين الجودة" داخل المؤسسات الجامعية Assurance- Qualité من أجل عملية تقييم ذاتي Auto-Evaluation شاملة لكل المنظومة التكوينية و التعليمية و البيداغوجية للجامعة الجزائرية.⁽³³⁾

إلا أن النقطة المتعلقة ببرامج المتابعة البيداغوجية للأساتذة الجدد، فهي حديثة العهد قد تعود إلى سنة 2015 فقط. (على الأقل بالنسبة لكليتنا) عندما شرعت وزارة التعليم العالي في فرض هذه البرامج على الأساتذة (الجدد) الملتحقين حديثا بالجامعة. و كلف عدد من الأساتذة القدامى ؟ (و ليس حتما الأكفاء)؟ بتأطير هذه العملية التي ينتظر منها الكثير.

كما يشهد التعليم العالي في بلادنا تحولات كبيرة (عميقة) على مستويات عدة ، حيث أصبح الجميع يدرك بأن الاهتمام بالتعليم العالي أصبح قضية وطنية، نظرا للدور التكويني-البيداغوجي-المهني والتنموي- الذي يمكن أن تضطلع به الجامعة الجزائرية. فالإنسان أصبح اليوم الثروة الحقيقية التي تراهن عليها المجتمعات الإنسانية.

ولمواكبة هذه الإصلاحات والتحويلات والخيارات ، بات من الضروري أن تحظى العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية بما تستحقه من أبحاث تربوية بيداغوجية سعيًا من جميع الفاعلين في القطاع إلى الانفتاح على العالم (المتطور)، رغبة منهم في بلورة "مقاربات جديدة" من شأنها إثراء المنظومة التكوينية البيداغوجية الجامعية حتى تتمكن من الاضطلاع بدورها العلمي والعملي على أكمل وجه.و عليه، تحتم عملية "التكوين البيداغوجي" اليوم، على الجميع،التجند لإنجاحها و ذلك بإتباع الخطوات المنهجية العلمية القائمة على إعداد المراحل التالية⁽³⁴⁾

-مرحلة الإعداد: Etape de la Préparation و هي أطول مرحلة في العملية التكوينية حيث تعتمد على الإعداد التربوي والمادي لإنجاح العملية التكوينية. - مرحلة الإنجاز: Etape de la concrétisation تعتبر مرحلة التنفيذ الفعلي لعملية التكوين و تخص كل العناصر الفاعلة في الحقل الجامعي، من أساتذة وطلبة و مستخدمين..

- مرحلة التقديم: Etape de la présentation في الكثير من الأحيان تبقى هذه المرحلة مهمة، بالرغم من أنه لا يمكن الاستغناء عنها في مثل هكذا حالات.حيث غالبا ما تكون:"نهاية العملية التكوينية الجارية بداية لعملية تكوينية جديدة أخرى..". و هكذا، تبقى تهدف مرحلة التقويم إلى بلوغ

الأهداف المسطرة منذ البداية من طرف القائمين على شؤون الجامعة الجزائرية.

الاستنتاج

بات واضحا في مسار تكوين المدرّسين الجامعيين، أنّ جودة العمل لدى مدرّسي العلوم الإنسانية و الاجتماعية مرتبط أساسا بجودة التكوين القاعدي الذي يكتسبونه تباعا و يمرّرونه في الجامعة عبر مختلف قنواتها. كما ينتظر من "مدرّس" القرن 21 المساهمة في بناء مشاريع مؤسسته عن طريق تنظيم الأنشطة التعليمية بالتركيز على استعمال و توظيف كل وسائل و تقنيات التواصل، منها على الخصوص الاستثمار في "التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال" Les nouvelles Technologies de la Communication et de l'Information و على تطوير "المقاربات" Les Approches البيداغوجية لدى "المتعلّم" في تلقي مضامين مختلف المواد الدراسية ليوّظفها فيما بعد لفائدة طلبته في المدرّجات الجامعية.

و في سياق المهام البحثية و التكوينية و التربوية، أيضا، و من أجل تطوير المستويات و المهارات و توحيد الرؤى لدى "أطر هيئة التدريس لمواد العلوم الإنسانية و الاجتماعية"، وفق آخر المستجدات و التطورات للأبحاث العلمية، توجّب على كل الفاعلين في مختلف أقسام الكليات و على مستوى كلّ الجامعة الجزائرية، تبادل المعارف Echange du Savoir و إقامة قاعدة بيانات Banque de Données متخصصة في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، توضع رهن إشارة الباحثين و الأساتذة القدامى و الجدد (مرسمين ومتدرّبين) Permanents et Stagiaires من أجل تبادل التجارب في إطار علمي موسّع يشمل كل الفاعلين في الحقل العلمي و المعرفي...

الهوامش أو الإحالات

1- Colonna (Fanny), Instituteurs Algériens 1883-1939, O.P.U, Alger,1975, p 15. (240 P) Et Voir aussi : Les Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques, Paris, 1975.

2- لقد ذكرت المصادر الفرنسية، حينها، أنه عشية صدور مرسوم 1883، أحصت المصالح التعليمية الفرنسية في الجزائر 3200 تلميذ من السكان الجزائريين (الأهالي) و 124 مدرسة و 48 معلم. غير أن القفزة الكبيرة كانت مع صدور مرسوم 18 أكتوبر سنة 1892، الذي جاء على إثر الزيارة التي قام بها كل من: "بيردو" Burdeau و "كومبس" Combes إلى الجزائر و إلى التحقيق الذي أنجزته "لجنة مجلس الشيوخ" الثمانية عشر Commission Sénatoriale حيث ارتفع عدد المتدربين في الجزائر مع مطلع سنة 1901، إلى 25300 تلميذ و 228 مدرسة و 427 قسم خاص يضاف إليهم 474 مدرسة للجزائريين (الأهالي) ملحقة بمدارس الأوروبيين. لمزيد من المعلومات طالع كل من:

- Poulard (Maurice), L'Enseignement pour les indigènes en Algérie, Imprimerie administrative, Alger, 1910, PP 84-87-119-180-181.

- Ageron (Charles Robert), Les Algériens musulmans et la France, Presses Universitaires de France, paris, 1968, PP 447-450.

3- بوخلخال (عبد الله)، الجامعة الجزائرية و وظيفتها البيداغوجية، حوليات جامعة الجزائر، عدد 7، الجزائر، 1993، ص ص 89-96.

4- كان يشغل آنذاك منصب - أستاذ محاضر بمعهد اللغة العربية و آدابها بجامعة قسنطينة...

5- معجم المعاني الجامع - عربي-عربي و قاموس المعجم الوسيط...ينظر إلى:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar.ar>

6- إن ديمقراطية التعليم في المستوى العالي، ليست خاصية انفردت بها الجزائر و إنما هي حتمية فرضتها ظروف الاستقلال و التطلع إلى التحرر من قيود التبعية لمخلفات الاستعمار. و قد جاء في مقال نشره "جون هوب فرانكلين" John Hope Franklin، أستاذ التاريخ بجامعة 'بروكلين': "... إن لكل مواطن حقا متساويا في المعيشة و يجب أن تتاح له فرص متكافئة لتحصيل المعرفة..." لمزيد من المعلومات طالع : - نظرات في التعليم الجامعي، بحوث لفريق من كبار الجامعيين الأمريكيين، تحت إشراف: " تشارلس فرانكل"، الفصل الرابع بعنوان: "الديمقراطية في فرص التعليم"، بقلم: جون هوب فرانكلين، دار المعرفة، القاهرة، 1963، ص ص 95-111. (278-279 ص)

7- بوخلخال (عبد الله)... مرجع سابق... ص ص 89-96.

8- منتدى التكوين و التعليم... طالع الموقع: www.newtab-tv.com

9- منتدى التكوين و التعليم... المرجع نفسه...

10- نفسه...

11- بوخلخال (عبد الله)... مرجع سابق... ص 93.

- 12- نظمت هذه الأيام الدراسية في ديسمبر من سنة 1990 في قسم العلوم الاجتماعية لجامعة الجزائر. لمزيد من المعلومات طالع :
- مقدم عبد الحفيظ، تصورات حول إصلاح المنظومة الجامعية، حوليات جامعة الجزائر، عدد 7، الجزائر، 1993، ص 97.
- 13- كان يشغل آنذاك منصب - أستاذ محاضر بمعهد اللغة العربية و آدابها بجامعة قسنطينة...
- 14- بوخلخال (عبد الله)...مرجع سابق...
- 15- أدركت الدول العربية، و معها دول العالم الثالث، أن التنمية هي: "تلك العملية الهادفة إلى تمكين المجتمع من الاستخدام الفعال لموارده المادية و البشرية وصولا إلى رفع مستوى الدخل الفردي و القومي فيه و إلى الرفاهية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية التي لا يمكن أن تنتج إلا عن تلك العملية التي لا تشكل فقط، السبيل الوحيد لتجسيد استقلالها السياسي المستعاد، بل الوسيلة الوحيدة لترسيخ مكانتها في المجتمع الدولي و حماية ذلك الاستقلال.." لمزيد من المعلومات طالع:
- البخاري (حمادة)، التنمية و البحث العلمي في المغرب العربي-الجزائر نموذجا-، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، عدد 3، 1996، ص 85-101.
- 16- Dr Abbou, Les systèmes éducatifs en Afrique, In annales de l'Université d'Oran, 1996, pp 13-20.
- 17- في إطلالة سريعة على النتائج التي توصلت إليها مختلف اللجان الوزارية التي قامت بعملية تقييم "تسيير مختلف مخابر البحث" على المستوى الوطني، نجدها توصلت إلى اقتراح غلق العديد منها لافتقادها لأدنى شروط البحث العلمي المسخر لإنجاحها...
- 18- بوخلخال (عبد الله)...، مرجع سابق...، ص 91.
- 19- Hammana Boukhari, Les sciences sociales et le tiers-monde- le cas de l'Algérie, Actes du Colloque international sur « les Sciences Sociales aujourd'hui », OPU, Alger, 1988. pp....
- 20- بوخلخال عبد الله...، مرجع سابق...، ص 93.
- 21- المرجع نفسه...، ص 93.
- 22- البخاري (حمادة)، التنمية و البحث العلمي في المغرب العربي...، مرجع سابق...، ص 89.
- 23- كانت وزارة التربية الوطنية هي التي تشرف على قطاع التعليم العالي منذ الاستقلال إلى غاية سنة 1965. ثم استحدث "مجلس أعلى للبحث العلمي" داخل نفس الوزارة إلى غاية سنة 1971 أين ظهرت لأول مرة "وزارة التعليم العالي و البحث العلمي" ضمن الحكومة الثالثة لرئاسة الرئيس 'هواري بومدين' و التي عرفت عهد الوزراء : محمد الصديق بن يحيى و عبد اللطيف رحال. ثم رئاسة الرئيس 'شاذلي بن جديد' التي عرفت مرور الوزراء : عبد الحق باراحي و أبي بكر بلقايد و أبركان عبد المجيد و مصطفى الشريف و الجيلالي ليايس ثم المرحلة الانتقالية التي عرفتها البلاد بعد تقديم الرئيس 'شاذلي بن جديد' استقالته و تولي الثلاثي (الرباعي): 'خالد نزار' و 'علي كافي' و 'علي هارون' و 'مصطفى

الهدام' الرئاسة المشتركة للدولة الجزائرية بعد توقيف المسار الانتخابي في الجزائر سنة 1992 و إعلان حالة الطوارئ في البلاد، و التي عرفت وضع الوزارة تحت سلطة الوزير الأول و استحداث وزراء متدبّون لوزارة التربية مكلفون بالبحث العلمي، ثم وزراء متدبّون لدى الجامعات و البحث العلمي ثم وزراء متدبّون بالبحث و التكنولوجيا...ثم الفترة الانتقالية الثانية التي عرفت تولي الوزير: 'أبو بكر بن بوزيد' الوزارة من 1994 إلى غاية 1997... مرورا بعهدة الرئيس 'ليامين زروال' التي عرفت فترة الوزير: 'عمار تو' وصولا إلى حكم الرئيس 'عبد العزيز بوتفليقة'، الذي شهد تولي كل من: 'عمار تو' و 'عمار صخري' و 'رشيد حراوية' و 'محمد مباركي' و 'الطاهر حجار' زمام وزارة التعليم العالي و البحث العلمي. لمزيد من المعلومات طالع:

-المراسيم التنفيذية الصادرة في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية رقم: 28/693-694-695 و 89/122 و 90/362 و 91/471 و 92/48 و 94/236 و 97/185 و 04/281 ، المؤرخين في: ماي 1968 بالنسبة لـ 693-694-695 و جويلية 1989 و نوفمبر 1990 و ديسمبر 1991 و فبراير 1992 و أوت 1994 و ماي 1997 و سبتمبر 2004.

- المرسوم الرئاسي رقم 02/331 مؤرخ في 16 أكتوبر 2002...

24- جاء في المادة رقم 22 من الفصل 6 المتعلق بالتكوين ما يلي: "يتعين على الإدارة أن تنظم، بصفة دائمة، تكوينا متواصلا لفائدة الأساتذة الباحثين يهدف إلى تحسين مستواهم و إلى تطوير مؤهلاتهم المهنية و كذا تحيين معارفهم في مجال نشاطاتهم وفق الشروط المنصوص عليها في التنظيم المعمول به..". طالع:

- المرسوم التنفيذي رقم: 08/130 المؤرخ في 27 ربيع الثاني 1429هـ الموافق لـ 03 ماي 2008 المتضمن القانون الأساسي للأستاذ الباحث.

25- يكفي أن نلقي إطلالة سريعة على مدرجاتنا و قاعات التدريس و في مختلف أوقات التدريس لتتقن من واقع التكوين و التدريس معا..

26- ينظر إلى الأمر رقم: 06/03 المؤرخ في 19 جمادي الثاني 1427هـ الموافق لـ 15 جويلية 2006 في مادته 58، و الذي يحدد قائمة المناصب العليا المطابقة لأسلاك الأساتذة الباحثين..

27- المادة 60، الأمر 06/03، المصدر السابق..

28- المادة 61، المصدر نفسه. (06/03)

29- المادة 62، نفسه. (06/03)

30- زكي نجيب محمود، التعليم الجامعي: طبيعته و أهدافه- مقارنة بين الجامعات الأمريكية و الجامعات العربية، نظرات في التعليم الجامعي...، مرجع سابق...، ص 64.

31- يعدّ "مصطفى هضاب" أستاذا للتعليم العالي في جامعة الجزائر و مستشار في المعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة INESG مكلف بقسم "التربية و الثقافة و الاتصال". و بعد تخرّجه من قسم الفلسفة، درّسها بجامعة الجزائر ثمّ تحوّل بعدها إلى البحث العلمي و تدريس علم النفس

الاجتماعي و علم الاجتماع. كما خاض عدّة أبحاث حول مواضيع سوسيو-أنثروبولوجية. و اهتم بدرجة كبيرة بالنظام التربوي والتعليمي الجزائري و خصّ "النخب" و الإطارات الجزائرية بمعظم هذه الدراسات.. ينظر إلى:

- Haddab Mustapha, Dimensions du champ éducatif algérien, analyses et évaluations, Arak éditions, Alger, 2014.

32- Haddab Mustapha, Revue Alfa, IRMC, Tunis, 2007, pp 51-60.

33- هي جملة من الإصلاحات التكوينية و البيداغوجية و البحثية العلمية التي باشرتها الوزارة الوصية من أجل النهوض بالقطاع و توحيد البرامج التعليمية عن طريق الاجتماعات و اللقاءات المتكررة و المنبثقة عن التوصيات المقترحة من طرف الهيئة العلمية التي نصّبت لهذا الشأن و هي..CPND.

34- منتدى التعليم و التكوين...، مرجع سابق...